كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

الصف الثاني / التاريخ الأموي.

محاضرة بعنوان

(حركة عبد الله بن الزبير) Movement Abdullah bin

أ.د. حِمّـــاد فرحان حمادي المحمدي .Prof. Dr. Hammad f Hammadi

حركة عبد الله ابن الزبير .

تعد حركة ابن الزبير امتداد لخروج أهل المدينة . وقد استغل ابن الزبير استشهاد الحسين عليه السلام في حادثة كربلاء ، وخروج أهل المدية ضد الخليفة يزيد بن معاوية ، والفراغ السياسي والقيادي الذي حصل بعد وفاة معاوية والنقمة الشديدة على يزيد في العالم الاسلامي ، ليقود حركة مسلحة ضد بني امية منطلقا من مكة ليعيد الخلافة إلى منبتها الأول في الحجاز .

ودعا أعيان أهل تهامة والحجاز إلى بيعته ، فبايعوه جميعا باستثناء عبد اللع بن عباس ومحمد بن الحنفية ، ثم طرد عمال يزيد من مكة والمدينة .

حاول يزيد في غمرة هذه الأحداث ، التفاهم مع ابن الزبير ، فعرض علي ولاية الحجاز وما شاء ، وما أحبّ لأهل بيته من الولاية ، على ان يبايعه بالخلافة ، لكن ابن الزبير رفض .

عندئذٍ أصدر يزيد أمراٍ إلى مسلم بن عقبة بالتوجه إلى مكة للقضاء على حركته ، وفعلا توجه هذا القائد إلى مكة ، وما كاد أن يصل إلى المشلل حتى مرض وتوفى بعد ان عهد إلى الحصين بن نمير بقيادة الجيش . استأنف الحصين الزحف نحو مكة فوصلها في (السادس والعشرين من شهر محرم عام 64هـ) وضرب عليها حصارا مركزا بعد ان سيطر على جميع التلال والجبال المحيطة بها ، ثم أخذ يضربها بالمنجنيق ، وتولّى الدفاع عن البيت الحرام جماعة من الخوارج النجدية .

كانت المقاومة عنيفة بفعل خضوع المكيين لقائد واحد هو عبد الله بن الزبير ، وانضمام خصوم الدولة الأموية إليه كالخوارج فضلا عن الزعيم الشيعي المختار بن ابي عبيد الثقفي ، وبينما رحى الحرب دائرة أتى نعي يزيد فتوقف القتال ، وادرك الحصين ، وهو أحد كبار القادة العسكريين في الدولة الأموية ، ان ورقة ابن الزبير ستكون الرابحة بعد غموض الموقف في دمشق . فرأى أن يأخذ البيعة له شرط أن

ينتقل معه إلى دمشق ، فقابله وعرض عليه البيعة على شرطه . رفض ابن الزبير هذا الع ض ، مفوتا فرصة ذهبية . وذهل الحصين من موقفه هذا وأشار بشيء من السخرية متهما إياه بقصر النظر السياسي .

ويبدو أن ابن الزبير أدرك أن أهل الشام مخلصون لبني أمية ، كما أن الحصين ليس بالقادر على التكلّم بلسانهم جميعا، ولذا لم يكن بوسعه الاطمئنان إلى وعوده ، يضاف إلى ذلك أنه كان يرى في أهل الحجاز أنصاره وأعوانه ، لذلك كان رفضه عن اقتناع منه حتى لا يصيبه ما أصاب الحسين من قبل . ثم حدث بعد ذلك أن رفع الحصين الحصار عن مكة وعاد إلى دمشق .

واواقع أن ابن الزبير كان المستفيد الأول من موت يزيد وارتباك الأسرة الأموية في معالجة النتائج السلبية التي انعكست عليها . لكنه وبالرغم من وجهة نظره ، أضاع الفرصة التي أُتيحت له لإنقاذ العالم الإسلامي من الحرب الأهلية . ثم أعلنت خلافة معاوية الثاني بن يزيد في غضون ذلك في دمشق ، بينما أعلن ابن الزبير نفسه خليفة في المدينة.

بعد وفاة معاوية الثاني الذي لم تدم خلافته سوى ثلاثة أشهر ، وجدت الخلافة الأموية نفسها ف موقف صعب بعد أن عمّت الفوضى أرجاء العالم الإسلامي ، ففي العراق ، اشتعلت نار العصبية القبلية بعد فرار ال. الي عبيد الله بن زياد من البصرة تحت ضغط الأحداث السياسية ، وأدى ذلك إلى سيطرة العنف حيث كانت كل قبيلة تحمي مصالحها . وللتخلص من هذا المأزق بعثت كل من الكوفة .البصرة بالوفود إلى مكة لإعلان البيعة لابن الزبير ، فأرسل هذا الأخير أخيه مصعب واليا على العراق .

اما في الحجاز فكانت البيعة لإبن الزبير ، كما وصلته وفود من قنسرين وحمص ومصر تبايعه ، ودخل أهل فلسطين في طاعته .

وانقسم أهل الشام بين مؤيد لإبن الزبير وبين مدافع عن مكتسبات الخلافة الأموية . فخطب له على سائر منابر الإسلام إلّا منبر طبرية من بلاد الأردن ، حيث رفض حسان بن مالك الكلبي أن يبايعه وأرعد الخلافة لخالد بن يزيد بن معاوية ، وبدا وكأن العالم الإسلامي على وشك تحقيق وحدة سياسية مرّة أخرى بزعامة عبد الله بن الزبير.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة عقد بنو أمية مؤتمرا في الجابية في عام (64هـ) لإنقاذ خلافتهم المهددة بالسقوط ، فتمخّض عن هذا الاجتماع انتخاب مروان بن الحكم خليفة للمسلمين بإجماع الحاضرين ، وقد واجه صعوبات جمّة تمثلت بالقيسيين وعلى رأسهم الضحاك بن قيس في دمشق والمؤيد لإبن الزبير ،فضلا عن حركة ابن الزبير الذي تعاظم نفوذه في الحجاز والعراق ومصر واجزاء واسعة من بلاد الشام ، كما اسلفنا ، وفيما يتعلّق بابن الزبير ، فقد قاد مروان جيشا إلى مصر وأخضعها إلى

نفوذه بعد تغلّبه على واليها من قبل ابن الزبير ، عبد الرحمن بن جحدم ، كما وجّه مروان بعد عودته من مصر ، جيشا آخر إلى الحجاز تحت قيادة حبيش بن دلجة ، إلّا أنه فشل في دخول المدينة نتيجة للمقاومة العنيفة التي أبداها الزبيريون . وبعد ذلك عاجلت المنية مروان في (مستهل شهر رمضان عام 65هـ) دون أن يحقق هدفه في استعادة الحجاز .

اما الخليفة عبد الملك بن مروان الذي خلف والده في الحكم فقد أدرك أن قوّة ابن الزبير تكمن في العراق ، وأن القضاء عليه في هذا الاقليم سيؤدي حكما إلى إسقاط النظام الزبيري بكامله ، لأن عوامل الصمود في الحجاز تكون قد فقدت الكثير من دعائمها ، لذلك خرج على رأس جيش كبير إلى العراق ، في حين تحرّك مصعب بن الزبير والي العراق من الكوفة باتجاه الشمال للتصدّي له .

وانتهج عبد الملك ، في غضون ذلك خطة ذكية لإضعاف خصمه ، فكاتب زعماء العراق في جيشه يستميلهم للانضمام إليه ، كما كاتبه هؤلاء يدعونه إليهم . وقد علم مصعب بهذه المراسلات ، إلّا أنه لم يتخذ بحقهم أيّ إجراء . ويبدو أنه لم يشأ إحداث شرخ في صفوفه ، وهو على أهبة الاستعداد لدخول المعركة . إلّا أنه أظهر نفسه قائدا قصير النظر بفعل أن الخيانة أثّرت على قوّته حين تخلّى هؤلاء الزعماء عنه وانضموا إلى خصمه مما كان سببا من أسباب خسارته .

ومهما يكن من أمر ، فقد التحم الجيشان على نهر الدجيل عند دير الجاثليق بمسكن في (شهر جمادي الآخرة عام 72هـ) ، وأسفر اللقاء بينهما عن انتصار واضح للجيش الأموي وقُتل مصعب في المعركة ، ودخل عبد الملك الكوفة على إثر هذا الانتصار .

لم يُضع عبد الملك فرصة قطف ثمار انتصاره ، فقد اسرع بإرسال جيش إلى الحجاز بقيادة الحجّاج بن يوسف الثقفي ليوجّه إلى عبد الله بن الزبير الضربة القاضية . حاصر الحجّاج مكة ، وشدّد على ابن الزبير الذي أضحى في موقف حرج بفعل انفضاض أتباعه من حوله نتيجة منح الحجّاج الأمان لهم .

وبالرغم من ذلك ، لم تخن عبد الله شجاعته ، حتى في هذه اللحظة الأخيرة من حياته ، واضعاً النهاية لأخطر حركة واجهت دولة الخلافة الأموية . وكان ذلك في (السابع عشر من شهر جمادي الأولى عام 73هـ) .

وبهذا انتهت خلافة عبد الله بن الزبير التي استمرت تسع سنوات تقريباً . وبوفاته ، وخضوع الحجاز لعبد الملك بن مروان ، توحَّد العالم الإسلامي من جديد تحت زعامة هذا الأخير الذي أضحى الخليفة الشرعي الوحيد للمسلمين.